رحلة ابن النديم إلى الموصل من خلال كتاب الفهرست
دراسة استقرائية عن العلاقة الثقافية بين ابن النديم وعلماء عصره من أهل الموصل والواردين إليها والمستوطنين فيها

محمد نزار حميد الدباغ*

المقدمة:

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على علاقة ابن النديم بمدينة الموصل ثقافيا من خلال استقراء تراجم علماء الموصل المعاصرين له ومن ورد إليها واستوطن فيها والتي وردت في كتاب الفهرست.الدافع لكتابة هذا البحث يكمن في سؤال يطرح نفسه وهو ما مدى صلة ابن النديم بمدينة الموصل؟ وهل كانت رحلته العلمية لمرة واحدة ام انها كانت على شكل زيارات في فترات زمنية نجهلها ؟ ولماذا لا نجد نصوصا توصلنا الى بيان خط سيره والمدن او القرى التي مر بها ما دمنا نقول ان له رحلة علمية وعندما نقول رحلة فأن هذه الكلمة تقترن بخط سير ووسائط نقل ومرور بالمدن والقرى وسفر له نقطة بداية ونقطة نهاية.

يقسم البحث على محورين، تناول المحور الأول التعريف بشخصية ابن النديم وبيان نشأته الثقافية والكلام عن كتاب الفهرست وبيان اهم اقسامه واخيرا الحديث عن رحلته العلمية بين بغداد والموصل. اما المحور الثاني فيتضمن استقراء لنصوص العلماء الذين اوردهم ابن النديم في كتابه الفهرست من اهل الموصل او الواردين اليها والمستوطنين فيها والذين كانوا معاصرين له وارتبط حديثه عنهم اما بلقائه بهم في الموصل عن طريق ارتباطه بصداقات معهم والحديث عن علومهم او بالدخول الى خزائنهم والكشف عن مكنوناتها ومحتوياتها من الكتب او بحثه عن كتب معينة لهؤلاء العلماء ومتابعته لمصائرها وما آلت اليه. وأعتمد البحث بصورة رئيسة على كتاب الفهرست لأبن النديم ؛ لان اغلب النصوص التي تناولت علماء الموصل وغيرهم وردت فيه وربما تفرد ببعض

* مدرس مساعد/مركز دراسات الموصل.

النصوص مما لم نجده في المصادر الاخرى وتعزيزها – بعد التحليل – بالمصادر والمراجع ذات الصلة بموضوع البحث.[١]

المحورالأول:ابن النديم:حياته ومؤلفاته،رحلته العلمية بين بغداد والموصل

أولا: حياتـه ومؤلفاتـه: هو محمد بن ابي يعقوب إسحاق بن محمد بن اسحاق الوراق المعروف بابن النديم[٢] البغدادي[٣] ويرد اسمه على صيغ مختلفة منها محمد بن اسحاق ومحمد بن النديم، وتاريخ ولادته مجهول ولا نعلمه ؛ ولكن الجلبي يرجح حسب رواية ضعيفة انه ولد حوالي سنة ٣٢٠هـ/٩٣١م[٤] ويحتمل ان مكان الولادة كانت في بغداد[٥] ومهنة ابن النديم كانت الوراقة ومما سهل على ابن النديم قيامه بهذا العمل – كتاب الفهرست – كونه وراقا والوراقون اخبر الناس بالكتب واسمائها وموادها و لاسيما اذا ما توفر لاحدهم الثقافة والعلم والخبرة[٦]. فضلا عن انه – ابن النديم – " اول بيبلوغرافي عربي وصاحب احد اهم المصنفات في التراث العربي الإسلامي: كتاب الفهرست "[٧]. وقد روى ابن النديم عن بعض

---

١ يتوجه الباحث بالشكر إلى السيد بسام الجلبي الذي مد له يد العون في تزويده بمجموعة من المصادر والمراجع والموسوعات مما لم يتوفر للباحث في حينها والتي سيجدها القارىء في هوامش هذا البحث.

٢ أبو الفرج محمد بن إسحاق المعروف بابن النديم الوراق، كتاب الفهرست لأبن النديم،تحقيق: رضا– تجددبن علي بن زين لدين المازندراني،(طهران،١٩٧٠)،ص(ب).وينظرحول اسم المؤلف وكنيته:محمد نزار حميد الدباغ،"شخصيةابن النديم"،بحث مخطوط في حوزة الباحث،١٩٩٩،ص٢.

٣ بسام الحلبي، موسوعة أعلام الموصل،(الموصل،كلية الحدباء الجامعة، ٢٠٠٤)، مج٢، ص ٨١ ؛ الدباغ، المرجع السابق، ص ٣.

٤ الجلبي، موسوعة، مج ٢، ص ٨٢.

٥ نفسه والمجلد والصفحة.

٦ ابن النديم، المصدر السابق، مقدمة الكتاب.

٧ الجلبي، موسوعة، مج ٢، ص ٨١.

العلماء منهم ابو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي[١] وأبو الفرج علي بن الحسن الاصفهاني[٢] وابو عبد الله محمد بن عمران المرزباني[٣] وغيرهم، ولم يرو عنه احد[٤] ويلاحظ ان لقاءه بهؤلاء العلماء وغيرهم وما ياخذه عنهم كان في سنة ٣٤٠ هـ/٩٥١م[٥] من هنا يتبادر الى الذهن أن ابن النديم " قد اخذ يجمع مواد كتابه منذ وقت مبكر ثم اخذ يكمله شيئا فشيئا حتى دفع به الى نساخه في سنة ٣٧٧ هـ/٩٨٧م للتبيض وقد تداول الناس الكتاب والمؤلف حي لكنه لم يعش طويلا بعد الفراغ من نسخ الكتاب ... رغم ما كان فيه(الكتاب) من مواضيع متروكة بياضا "[٦]. اما كتاب الفهرست فيعد اول كتاب جامع للمؤلفات العربية او المترجمة اليها وصلنا كاملا في مختلف ابواب المعارف والعلوم والآداب في القرون الاربعة الاولى للهجرة النبوية المباركة. ويتكون الكتاب من عشرة مقالات تحتوي على تراجم ومؤلفات العلماء المختلفة. وطريقة عرض الترجمة لدى ابن النديم ميالة للاختصار دون التطويل فهو يذكر " بأيجاز معلومات مركزة عن المؤلف ثم يعرض مصنفاته وقد تستغرق هذه المصنفات صفحات عدة "[٧]. ولأبن النديم كتاب آخر ذكره في الفهرست يسمى "كتاب التشبيهات"[٨] ولانعلم ما آل اليه مصير هذا الكتاب وهل وصلنا ام لا ؟! أما وفاة ابن النديم فلا يمكن الجزم بها اذ " وقعت – خلافات –

---

[١] يعد بمثابة شيخ لأبن النديم وكان أكثرهم ذكرا في الفهرست اذ اخذ ابن النديم عنه بعض رواياته وسمع عليه. تنظر ترجمته وأخباره في: ابن النديم، المصدر السابق، ص ٤٧، ٥٦– ٥٨، ٦٠– ٦٥، ٦٨، ٩١ –٩٢، ٢١٩.

[٢] راجع ترجمته وأخباره في: نفسه، ص ١٢٧ – ١٥٨.

[٣] راجع ترجمته وأخباره في: نفسه، ص ١٤٦ – ١٤٩.

[٤] نفسه، ص(ب).

[٥] نفسه، ص ٢٩٥.

[٦] نفسه، ص مقدمة الكتاب.

[٧] الجلبي، موسوعة، مج ٢، ص ٨٢.

[٨] ابن النديم، المصدر السابق، ص ١٥٤، ١٦٥.

...في سنة وفاته تصل الى نحو ستين سنة اذ ترد سنوات تتراوح ما بين ٣٨٠هـ/٩٩٠م و ٤٣٨هـ/١٠٤٦م !! "[١].

ثانيا: رحلته العلمية بين بغداد والموصل: يمكننا تحديد صلة ابن النديم بمدينة الموصل من خلال تنقله برحلة يمكن ان نطلق عليها رحلة علمية؛ لانه كان يسعى فيها للبحث عن خزائن الكتب والبحث عما تحويه هذه الخزائن من مؤلفات العلماء السابقين والحديث عن اصحاب الخزائن الذين التقى بهم واخذ عنهم اسماء مؤلفاتهم. وكما هو معلوم ان مسقط رأس ابن النديم هو بغداد وانطلاقه بخط سير الرحلة كان عبر نهر دجلة صعودا الى الموصل والدليل على ذلك انه زار احد اصدقائه من مدينة حديثة واطلع على العديد من الكتب القديمة التي كان يملكها والتي يعود بعضها الى عصر الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام وذلك في أثناء الكلام عن ترجمة العالم محمد بن الحسين بن ابي بعرة الذي كان جماعة للكتب وصديقا لأبن النديم[٢] ويشير احد المُحدثين أن مدينة حديثة التي زارها ابن النديم هي حديثة دجلة وهي غير حديثة الفرات[٣] واذا ما قمنا بقياس تنقل ابن النديم بين بغداد و الموصل مرورا بالحديثة مع رحلات العلماء وتنقلاتهم السياسية والعلمية ما بين القرنيين ٣-٤ هـ/٩-١٠م فأنها لم تتغير، فرحلة احمد بن الطيب السرخسي(ت: ٢٨٦ هـ/٨٩٩ م) مع الخليفة العباسي المعتضد(٢٧٩ – ٢٨٩ هـ/٨٩٢ – ٩٠١ م) التي سلكت في جزء منها الطريق نفسه الذي سلكه ابن النديم وهو طريق غرب دجلة يبدأ من بغداد مرورا بتكريت والحديثة فالموصل[٤] ومما يؤسف له حقا اننا لا نملك تاريخا دقيقا لوجود ابن النديم في الموصل، وكل ما

---

[١] الجلبي، موسوعة، مج ٢، ص ٨٢.

[٢] ابن النديم، المصدر السابق، ص ٤٦.

[٣] كوركيس عواد، خزائن الكتب القديمة في العراق منذ أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة،(بيروت، دار الرائد العربي، ط ٢، ١٩٨٦)، ص ٢١٢.

[٤] هدى شوكت بهنام، " ما تبقى من رحلة احمد بن الطيب السرخسي"، لمورد، مج١٨،العدد٤ ، ١٩٨٩، ص١٢٨.وانظر كذلك خط سير رحلة السرخسي ص١٣٤من نفس البحث.

نعلمه انه زار الموصل مرات عديدة. ويمكن ان نقسم هذه الزيارات على عصرين حسب رأي الجلبي، العصر الأول هو عصر صحبة ابن النديم لوالده في تجارته ودخوله الموصل مرارا، وهذا الرأي انفرد به الجلبي حسب رأي الباحث. والعصر الثاني زيارات ابن النديم الخاصة للبحث عن خزائن الكتب التي كانت من اهم موارد مشروعه الضخم الذي كان يتهيأ لأعداده وهو كتاب الفهرست[١] فضلا عن ذلك فأن ابن النديم قد ذكر خبراً يتعلق بكتب الموصل في العصور القديمة بنص يتكلم عن احد ملوك الاسكندرية ذلك انه طلب من احد رجاله ان يجمع له كتبا في الفلسفة والعلوم الطبيعية فجمع له ذلك الرجل اكثر من ٥٤ الف كتابا وقال للملك " قد بقي في الدنيا شيء كثير في السند والهند وفارس وجرجان والأرمان وبابل والموصل والروم "[٢]. فضلا عن بعض مصادر التوثيق القائمة على اللقاء والمشاهدة من جانب ابن النديم لبعض علماء الموصل من اصدقائه او من العلماء الذين تحدث عن خزائنهم أو شاهد بعض كتبهم. فمن اصدقائه الذين لقيهم في الموصل حديثه عن رجل يعرف بابن حمدان اذ يقول " رأيته بالموصل "[٣] ولقائه بالشاعر ابو بكر محمد الخالدي اذ يذكر " قال لي "[٤] ومشاهدته لمحمد بن الليث الزجاج يقول ابن نديم " رأيته بالموصل "[٥] وعلي بن وصيف شاه اذ يحدد ابن النديم صلته به بقوله " وكان لي صديقا وأنيسا "[٦] اما مشاهدته لبعض خزائن العلماء في الموصل فمن ذلك حديثه عن شعر ابو العتاهية(ت:٢١١هـ/٨٧٤ م) بقوله " رأيت من شعره بالموصل... "[٧] فضلا عن مشاهدته لبعض كتب عالم

---

[١] الجلبي، موسوعة، مج ٢، ص ٨٢.

[٢] ابن النديم، المصدر السابق،ص٣٠١ ؛الجلبي، موسوعة،مج٢، ص٨٢.

[٣] ابن النديم، المصدر السابق، ص ٢٤١.

[٤] نفسه، ص ١٩٥.

[٥] نفسه، ص ٩٤.

[٦] نفسه، ص ١٥٤.

[٧] نفسه، ص ١٨١.

الكيمياء اصطفن الراهب بعد موته بقوله " ظهرت كتبه بالموصل فرأيت منها شيئا "[١] وأخيرا رؤيته لاحدى المقالات المنقولة عن اليونانية الى العربية والمتعلقة بهندسة اقليدس(ت: القرن ٣ ق.م) في خزانة علي بن احمد العمراني وهو جماعة للكتب في الموصل بقوله " رأيت منها المقالات العاشرة بالموصل "[٢].

المحور الثاني: العلاقة الثقافية بين ابن النديم وعلماء عصره من اهل الموصل والواردين إليها والمستوطنين فيها

بداية لابد من رسم المنهج الذي سيسير عليه الباحث في تناوله لهذا المحور لكي تستقيم مادة البحث ولتسهيل عرضه للقارىء وتتميما للمحور الأول نقول أن الرحلة العلمية لأبن النديم أثمرت في تكوينه لمجموعة من العلاقات والصلات الثقافية مع بعض العلماء من اهل الموصل او من ورد إليها من المدن المختلفة ومن استوطن فيها. وان تناول العلماء من حيث ترتيبهم سيتم على وفق الاسبقية في سنة الوفاة للعالم فأن لم نجدها فتحديد القرن الذي توفي فيه العالم. اما النصوص التي تضم تراجم العلماء في الموصل ومما ورد في الفهرست فستعرض حسب الكلام الوارد فيها عن الموصل على لسان ابن النديم من حيث ذكر لقب العالم واسمه وسنة وفاته مدفوعة بعرض مهنته ومن ثم طبيعة التوثيق لدى ابن النديم وهل تمت من خلال الرؤية والمشاهدة او الملاحظة الشخصية ام عن طريق السماع او المحادثة مع العلماء وأخيرا تحديد طبيعة الصلة الثقافية التي ربطت ابن النديم بالعالم الفلاني هل تمت من حيث حديث ابن النديم عن دواوين الشعر ام زياراته لبعض خزائن الكتب العلمية لهؤلاء العلماء،او عنايته بكتاب معين قد رآه او سمع عنه في الموصل، وتحليل النصوص وتفسير بعض مفرداتها بالرجوع الى بعض المصادر والمراجع المساعدة التي تفك ما يصعب فهمه او تعسر تفسيره.

<u>أولا:</u> أبو العتاهية، محمد بن اسماعيل بن القاسم(ت: ٢٤٤ هـ/٨٥٨ م)[٣]:

---

[١] نفسه، ص ٤٢٤.

[٢] نفسه، ص ٣٢٥،الجلبي، موسوعة، مج ٢، ص ٨٢.

[٣] خير الدين الزركلي،الأعلام،(بيروت،دارالعلم للملايين،ط٤،١٩٧٩)مج٦،ص ٣٤.

لم يفصل ابن النديم في ترجمة ابي العتاهية اذ بلغت ثلاثة اسطر فقط ويلاحظ ان التوثيق قائم على رؤية ابن النديم لشعر أبي العتاهية بالموصل اذ يقول ما نصه " ... والذي رأيت من شعره بالموصل، نيف وعشرين جزءا ... وكل ما رأيت(ينقص) يدل على انها(من) ثلثين جزءا "[١] والصلة قائمة على زيارة ابن النديم للموصل في سنة ما نجهلها ورؤيته لشعر ابي العتاهية وبواقع اكثر من عشرين جزءا ويلاحظ دقة وتقصي ابن النديم لهذا الشعر كونه يشك في انه ينقص على الاقل عشرة اجزاء وتقصيه عن هذه الاجزاء المتبقية بقوله " وكل ما رأيت ينقص ".

ثانيا: الزجاج: ابراهيم بن السري(ت: ٣١١ هـ/٩٢٣ م) النحوي واللغوي الشهير[٢] ويذكر ابن النديم ما نصه " الزجاج معلم ناصر الدولة واسمه محمد بن الليث رايته بالموصل ولا اعرف له كتابا "[٣] والذي يلاحظ من النص ان ابن النديم قد أطلق عليه اسما يخالف ما ورد في كتب التراجم ومؤلفي الكتب المعاصرين اذ يظهر لدينا الاسم الذي اورده كحالة في معجمه على الرغم من انه يختلف عن الاسم الذي اورده ابن النديم إلا انه يتفق مع شهرة الزجاج النحوي واللغوي الشهير ويبدو من نص ابن النديم انه(أي الزجاج) اتصل بأمير الدولة الحمدانية ناصر الدولة الحمداني(ت: ٣٥٨ هـ/٩٦٨ م) وعمل في خدمته كمعلم ومؤدب لولده والتوثيق قائم على الرؤية والملاحظة العينية وهذا ما يفسر لنا احتمالا وليس جزما ان ابن النديم لا يعلم له كتابا مؤلفا، على الرغم من ان له مؤلفات في النحو والعروض مثل كتاب الاشتقاق[٤]وغيرها وربما كان ابن النديم قد التقى به في بلاط ناصر الدولة الحمداني بالموصل، والذي يرى الباحث انه قبلة للعلماء والشعراء لاسيما وان

---

١ ابن النديم،المصدر السابق، ص ١٨١.

٢ عمر رضا كحالة،معجم المؤلفين،(بيروت،مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي،د.ت)، مج١،ص٣٣؛الجلبي،موسوعة،مج ٢،ص١٨١.

٣ ابن النديم،المصدرالسابق،ص٩٤.

٤ كحالة، المرجع السابق، مج ١، ص ٣٣.

الأمراء الحمدانيين عنوا بحركة الشعر والمديح في بلاطهم، فضلا عن ان عاصمة الملك كانت مدينة الموصل[١].

ثالثا: ابن حمدان،ابو القاسم جعفر بن محمد بن احمد بن حمدان الموصلي(ت:٣٢٣هـ/٩٣٤م) شاعر وأديب وفقيه شافعي[٢] ووردت صيغة التوثيق عنه بأطلاق ابن النديم نسبة " الموصلي"[٣] عليه بعد ذكر كنيته واسمه الكامل ويبدو ان الصلة الثقافية التي ربطت ابن النديم به جاءت من خلال عناية الاخير بكتاب" السرقات"[٤] لابن حمدان الموصلي اذ ذكر عن الكتاب ما نصه"...كتاب السرقات. ولم يتمه ولو تمه لاستغنى الناس عن كل ما كتب في معناه..."[٥] ويتضح لنا مما تقدم جملة امور منها ان كتاب السرقات انما يقصد به سرقات الشعر والامر الثاني ان عناية ابن النديم بكتاب السرقات انصب حول اكتمال الكتاب او عدمه وهي من صيغ التعامل الثقافية لأبن النديم مع الكتب بوصفه وراقا فهو يركز على مسألة مهمة وهي اكتمال الكتاب الذي لم يتم لابن حمدان مما يعني ان ابن النديم قد اطلع على كتب اخرى في السرقات وهو ما نجده في الفهرست بأطلاعه على سبعة كتب[٦] غير هذا الكتاب في الباب نفسه لكنه لم يجد ما يضاهي كتاب السرقات لابن حمدان لو اتم الاخير تأليفه لرجع الناس اليه واصبح لهم بمثابة العمدة في هذا الباب من ضروب الشعر وهو السرقات.ومما يعزز الصلة الثقافية لأبن النديم بهذا الشاعر هو جانب اغفل ابن النديم ذكره ولا

---

[١] عن حكم الأمير ناصر الدولة الحمداني في الموصل راجع: فيصل السامر، الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ٢٩٣- ٣٩٢ هـ،(بغداد، مطبعة البيان، ط ١، ١٩٧٠)، ج ١، ص ٢٠٢-٢٦٩.

[٢] الجلبي، موسوعة، مج ٢، ص ١٨٤ – ١٨٥.

[٣] ابن النديم، المصدر السابق، ص ١٦٦.

[٤] نفسه والصفحة.

[٥] نفسه والصفحة.

[٦] نفسه، ص ١٦٣، ١٦٦، ٧٩، ٧٧، ٢٧١.

نعلم لماذا ؟ وهو امتلاك ابن حمدان لاقدم الخزائن العامة للكتب في الموصل المسماة " دار العلم"[١] وقد نقل ياقوت الحموي في ترجمته لابن حمدان انه " كانت له ببلده دار علم قد جعل فيها خزانة كتب من العلوم جميعها وقفا على كل طالب لعلم، ولا يمنع احداً من دخولها، اذا جاءها غريب يطلب الادب وان كان معسرا لا عطاه ورقا، وتفتح في كل يوم..."[٢] وقد كانت هذه الدار ملحقة بمنزله[٣] واذا صح تقسيم الجلبي لها فأنها من حيث التخصص كانت شاملة للكتب في مختلف فنون المعرفة الدينية واللغوية والادبية والطبيعية ولاسيما الهندسة والفلك، اما من حيث الصنف فيمكن عدها مكتبة خاصة- عامة وهي اول مكتبة في هذا الصنف تقابلنا في الموصل ومن حيث الوظيفة فضلا عن وظيفتها الاصلية نجد انها تقوم بوظيفة تعليمية اذ كانت تلقى فيها المحاضرات يوميا على الناس في الفقه والادب والشعر والتاريخ. وطابعها العلمي – الأجتماعي ليس فقط من حيث تشجيع طلاب العلم على الدرس ومطالعة الكتب ولكن بتقديم المساعدات العينية والنقدية للأغراب والفقراء فأن هذا التصرف مقدمة للمدارس ذات الاقسام الداخلية ان صح التعبير التي ستظهر في العالم الاسلامي بعد نحو قرنين[٤] ويمكن عد دار العلم الموصلية هذه صورة مصغرة ومبسطة لبيت الحكمة البغدادي المؤسس في الربع الأخير من القرن ٢هـ/٨ م[٥].

رابعا: العمراني، علي بن احمد(ت: ٣٤٤ هـ/٩٥٥ م)

---

١ عواد، المرجع السابق، ص ١٣٧.

٢ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم الأدباء المسمى إرشاد الأريب،(طبعة مرجيليوث)، مج ٢، ص ٤٢٠.

٣ الجلبي، موسوعة، مج ٢، ص ١٨٤.

٤ الجلبي، " خزائن كتب الموصل عبر العصور "، بحث مخطوط في خزانة الجلبي، ١٩٩٥، ص ٩ –١٠.

٥ الجلبي،" نظرات عجلى على خزائن الكتب الخاصة بالموصل عبر العصور "،مقال منشور في دورية موصليات،العدد١٠،آذار ٢٠٠٥،مركزدراسات الموصل،جامعة الموصل،ص٣٢.

عالم بالحساب والهندسة والفلك من اهل الموصل[١] واصله من قرية العمرانية وهي قرية كبيرة وقلعة في شرقي الموصل متآخمة لناحية الشوش والمرج[٢] واسلوب التوثيق يتضح من عد ابن النديم للعمراني " من اهل الموصل"[٣] فضلا عن رؤيته للعمراني ولقائه به[٤] وقد خلد ابن النديم صلته الثقافية بالعمراني من خلال زيارته لمكتبة الاخير بقوله انه رأى المقالة العاشرة من المقالات التي نقلها ابو عثمان الدمشقي[٥] من ترجمة إسحاق بن حنين لكتاب " اصول الهندسة " لاقليدس في خزانة علي العمراني بالموصل[٦] وتنصب عناية ابن النديم الثقافي على هذه الخزانة لاسباب ثلاثة، الأول هو تقصيه عن بعض المقالات المترجمة للعربية في اصول الهندسة، والثاني عنايته الشخصية في الكشف عن مكنونات خزانة العمراني من الكتب، والثالث لكون العمراني رجلا جماعة للكتب ومقصداً لطلاب العلم من البلاد البعيدة للافادة من هذه الخزانة العامرة بالمؤلفات، والطبيعية منها على وجه الخصوص.

خامسا: السري الرفاء، ابو الحسن السري بن احمد(ت:٣٦٢ هـ/٩٧٧)

من أكابر الشعراء العرب ولد بالموصل ولقب بالرفاء لانه كان يرفو الثياب ويطرزها. ثم عمل في صيد السمك ثم بنسخ الكتب واتصل بالامراء الحمدانيين حكام الموصل ومدحهم ونال جوائزهم، إلا ان الشاعريين الخالديين الموصليين – اللذين سنذكرهما لاحقا – كانت بينهم وبين السري عداوة سببها اتهام كل طرف

---

[١] الجلبي، موسوعة، مج ١، ص ٤٥٢.

[٢] ياقوت الحموي، معجم البلدان،(بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت)، مج ٤،ص١٥٣.

[٣] ابن النديم، المصدر السابق، ص ٣٤١.

[٤] نفسه، ص ٣٢٥.

[٥] هو أبو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي احد نقلة الكتب المتقنين من اللغة اليونانية إلى العربية.ينظر :نفسه، ص٣٥٦.

[٦] نفسه،ص٣٢٥؛الجلبي،موسوعة،مج١، ص ٤٥٢.وانظر عن أخبار هذه الخزانة في:عواد،المرجع السابق، ص٣٢٠– ٣٢١؛الجلبي، خزائن...، ص١٠؛ولنفس المؤلف، نظرات عجلى...،دورية موصليات،العدد١٠،ص٣٢.

للآخر بسرقة شعره فأفسدوا الامراء الحمدانيين عليه فغادر الموصل الى حلب، وطاردوه الى بغداد ووجهوا له ضربة اخيرة انهت اي اتصال بينه وبين رجال الدولة من الوزراء في بغداد فعاش في المدينة الاخيرة يعمل بالنسخ بالأجرة حتى آخر حياته[١] وأسلوب التوثيق لدى ابن النديم والمتعلق بالسري ينصب من كونه " من أهل الموصل "، ويمكن تحديد سنة لقاء ابن النديم بالسري في الموصل حوالي سنة ٣٣٨ هـ/٩٤٩ م ذلك أن محقق ديوان السري يجعل توجهه من الموصل إلى حلب في السنة المتقدمة[٢] وربما كانت الصلة الثقافية بينهما قد امتدت إلى بغداد كونها المدينة التي عاش فيها ابن النديم معظم حياته كما أسلفنا في المحور الأول وهي ذاتها التي لمت شمل السري في أواخر حياته بعد تنقل طويل وشاق من مدينة إلى أخرى وربما جرى لقاء بينهما في سنة ما في بغداد لانه كما يبدو ان ابن النديم ادرك وفاة السري ومصداق ذلك قوله " وقد عمل شعره قبل موته نحو ثلاثمئة ورقة "[٣] ونحن نعلم أن وفاة السري كانت سنة ٣٦٢ هـ/٩٧٩ م فهذا يعني أن اللقاء تم في سنة ما نجهلها قبل السنة المتقدمة. وهناك أمر أخير وهو عدم ذكر ابن النديم لوجود خزانة كتب للسري وهو ما حصل مع ابن النديم في عدم ذكره لخزانة ابن حمدان المتقدمة ولسبب لا نعلمه أيضا ؟! اذ ساعده عمله في النساخة على تكوين خزانة كتب خاصة وصفها في شعره[٤] اذ ضمت هذه الخزانة مختلف مصنفات المعرفة الأدبية[٥] وهذه الخزانة وورد ذكرها في قصيدة لام الألفية والتي ربما قالها في الموصل بين سنتي ٣٢٥-٣٣٨ هـ/٩٣٦ – ٩٤٩ م وان هذه القصيدة ربما تدل

---

١ الجلبي، موسوعة، مج ١، ص٢٧٦ – ٢٧٧؛السري بن احمد بن السري الكندي، ديوان السري الرفاء،تحقيق ودراسة:حبيب حسن الحسيني،(بغداد، دار الرشيد للنشر،١٩٨١)،ج١، ص ٢١ –٢٢، ٢٦، ٣٥.

٢ نفسه والجزء، ص ٢٦.

٣ ابن النديم، المصدر السابق، ص ١٩٥.

٤ الجلبي، موسوعة، مج ١، ص ٢٧٦.

٥ الجلبي، نظرات عجلى ...، دورية موصليات، العدد ١٠، ص ٣٣.

على أن السري كان يمتلك كتبا يعتز بها ويصف أثرها الفكري والعلمي ويشببها بأزهار الرياض ولعل هذه الكتب قد جمعها بعد اتصاله بالبلاط الحمداني بالموصل وتحسن وضعه المادي فاستطاع أن يقتني بيتا وبستانا وبالطبع تمكن من عمل مكتبة فضلا عن أن نواة هذه المكتبة كانت من نسخ كتب يحتفظ بها منذ أيام شبابه الأولى حينما كان يعمل بالنساخة[١] والبيت التالي من قصيدته لام الألفية يدل على امتلاكه للمكتبة وصونه واعتزازه بكتبها بقوله:

عندي إذا ما الروض أصبح ذابلا تحف أغض من الرياض شمائلا
خرس تحدث آخرا عن أول بعجائب سلفت ولسن أوائلا[٢]

<u>سادسا:</u> خشكنانجة[٣]، أبو الحسن علي بن وصيف شاه(ت: حوالي ٣٧٠ هـ/٩٨٠ م)

شاعر وكاتب من أهل بغداد أقام بالرقة مدة طويلة ثم قدم إلى الموصل واستوطنها إلى آخر حياته[٤] وتتضح صيغة التوثيق من خلال قول ابن النديم عن خشكنانجة " ثم انتقل إلى الموصل " وكذلك قوله " وكان لي صديقا وأنيسا توفي في الموصل... وله من الكتب... ديوان شعره "[٥] أما طبيعة الصلة الثقافية فنجدها من خلال ديوان شعره الذي ذكر ابن النديم انه كان لابي الحسن وهو من أصدقائه المؤانسين ونص على موته بالموصل دون أن يذكر تاريخا لوفاته[٦]

---

١ الجلبي، خزائن ...، ص ١١ – ١٢.

٢ الجلبي، نظرات عجلى ...، دورية موصليات، العدد ١٠،ص ٣٣.

٣ ضبط اللفظ د. داود الجلبي هكذا " بضم الخاء وسكون الشين والكاف وفتح النونين " والخشكنانج نوع من المعجنات الحلوة تصنع من الدقيق الأبيض والزيت واللوز والسكر المدقوق المعجون بماء الورد. ينظر: محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الكريم الكاتب البغدادي، كتاب الطبيخ، تحقيق: داود الجلبي،(بيروت، ١٩٦٤)، ص ٨٧ وهامش ١ من ذات الصفحة.

٤ الجلبي، موسوعة، مج ١، ص ٥٠٢.

٥ ابن النديم، المصدر السابق، ص ١٥٤.

٦ الجلبي، موسوعة، مج ١، ص ٥٠٣.

سابعا: الخالديان:أبو بكر محمد،وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم(ت ٣٨٠ هـ/٩٩٠ م، ٣٩٠ هـ/٩٩٩ م)على الترتيب:

واولهما الأكبر سنا وهما شاعران وأديبان ومؤرخان[١]

ينسبان إلى قرية الخالدية وهي قرية من أعمال الموصل اذ عدهما اعتبرهما ياقوت الحموي من أعلامها المبرزين[٢] ولا يعرف تاريخ ولادتهما. وصيغة التوثيق التي تربط ابن النديم بهما قائمة على اللقاء المباشر والحديث اليهما في الموصل يقول ابن النديم " قال لي أبو بكر منهما "[٣] أما الصلة الثقافية فتمثلت بحديث أبي بكر الخالدي مع ابن النديم حول موضوع سرعة بديهته في حفظه للشعر اذ يذكر ابن النديم " قال لي أبو بكر منهما وقد تعجبت من كثرة حفظه وسرعة بديهته ومذاكرته . إني احفظ ألف سمر. كل سمر في نحو مائة ورقة "[٤].ومما لم يذكره ابن النديم أن الخالديان قد توليا الإشراف على خزانة كتب الاميرسيف الدولة الحمداني(ت:٣٥٦ هـ/٩٦٦ م) النفيسة[٥] فضلا عن امتلاكهما لخزانة كتب خاصة بهما من خلال تولي غلام لهم اسمه رشأ مهمة أمانة مكتبة سيده أبي عثمان الخالدي من خلال احد أبيات القصيدة التي وصف بها الاخير غلامه المثقف الشاعر رشأ حيث يقول: يصون كتبا فكلها حسن يطوي ثيابي فكلها جدد[٦]

وقد ذكر ابن النديم رشأ غلام أبي عثمان الخالدي في صدد حديثه عن ديوان(الخالديان) الذي أتمه ابوعثمان من جمع شعر أخيه وشعره وأتم رشأ هذا

---

١ نفسه، مج ٢، ص١٢٦.

٢ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ٢، ص ٣٣٨.

٣ ابن النديم، المصدر السابق، ص ١٩٥.

٤ نفسه والصفحة.

٥ الجلبي، موسوعة، مج ٢، ص ١٢٧.

٦ الجلبي، نظرات عجلى ...، دورية موصليات، العدد ١٠،ص ٣٢.

الديوان وعمله في نحو ألف ورقة[١] ولا نعلم بالضبط هل أن أبا عثمان الخالدي قال هذه القصيدة في الموصل أم في غيرها من المدن ؛ لأنها لو كانت في الموصل سيكون لذلك دلالته الثقافية التي تعزز حديث ابن النديم عن غلام أبي عثمان مما لم نجد له صلة بالموصل. وختاما فأن(الخالديان) يشكلان بتصانيفهما المشتركة ومنها الديوان شكلا وظاهرة أدبية فريدة في تاريخ الأدب العربي على مر العصور[٢].

ثامنا: اصطفن الراهب،(ميخائيل)

كيميائي لم نجد له سنة وفاة وذكرا في كتب التراجم العربية، وكل ما نعلمه أن صيغة التوثيق لدى ابن النديم والمرتبطة بهذا العالم تأتي من كونه مقيما في الموصل فهو خبر سمعه ابن النديم من مصدر أو رجل لم يحدد لنا اسمه اذ يقول عنه " هذا الرجل كان في الموصل(في عُمر) وسمى ميخائيل "[٣] والعُمر هنا يعني الدير الواقع قرب الأمصار، مما يعني أن اصطفن كان مقيما بأحد الأديرة الواقعة في أطراف الموصل القريبة مما لم يحدد لنا اسمه أو موقعه[٤].أما صلته الثقافية بابن النديم فتتعلق برؤية الاخير لمؤلفات هذا العالم في الكيمياء في الموصل بعد وفاته اذ يقول ابن النديم " وكان يحكى عنه(اصطفن) انه عمل الكيمياء، فلما مات ظهرت كتبه بالموصل ورأيت منها شيئا وهو كتاب الرشد. كتاب ما حدثناه. كتاب

---

١ ابن النديم، المصدر السابق، ص ١٩٥ ؛ أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابني هاشم الخالدي، ديوان الخالديان، جمعه وحققه: سامي الدهان،(دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٦٩)، ص ١٩.

٢ الجلبي، نظرات عجلى ...، دورية موصليات، العدد ١٠،ص ٣٢.

٣ ابن النديم، المصدر السابق، ص ٤٢٤.

٤ ينظر: صفي الدين بن عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الإطلاع على أسماء ألامكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي،(القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٤)، مج ٢، ص ٥٤٩ ؛ حنان عبد الخالق السبعاوي، مدينة نصيبين في العصر العباسي – دراسة سياسية حضارية –، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٣، ص ٩٨.

الباب الأعظم. كتاب الأدعية والقرابين التي تستعمل قبل صناعة الكيمياء. كتاب الاختيار النجومي للصناعة. كتاب التعليقات. كتاب الأوقات والأزمنة "[١]. وهنا نجد أن وفاة هذا الكيميائي قريبة من ابن النديم فهو قد أدركها لكن رؤيته لكتب العالم لم تحصل الا بعد وفاة الاخير وتقصي ابن النديم لثماني كتب تتحدث في مجملها عن الكيمياء والتي يعرفها ابن النديم في مفتتح المقالة العاشرة من كتابه الفهرست والمتعلقة بأخبار الكيميائيين بقوله بأنها " صنعة الذهب والفضة غير معادنها "[٢] ويلاحظ أن السبب في عدم تمكن رؤية ابن النديم لكتب هذا الرجل خلال حياته عائد إلى أن كتب الكيميائيين لم تكن تعرض اويتم نسخها اوبيعها فمؤلفوها كانوا حريصين على إخفائها ؛ لأنهم كانوا مطاردين من السلطة الحاكمة في بلد كان أم مدينة لارتباطها بالفلسفة والسحر والشعوذة لذا نجد أن ابن النديم قد جعل أخبار هذه الفئة في آخر مقالة من كتابه[٣] فضلا عن ذلك ان اصحاب هذه الصنعة لا يثبتون ولا يستقرون في أي مكان فنجدهم يتنقلون بين البلدان ولعل المثال الأبرز لذلك نجده في عالم المنطق والطبيب والكيميائي جابر بن حيان الكوفي[٤].

تاسعا: ابن النمح، أبو الحسن(ت القرن ٤ هـ/١٢ م)

شاعر ومتكلم أصله من بغداد[٥] أطال المقام بالموصل ومن هنا تبرز صيغة التوثيق لدى ابن النديم فهو خبر سماعي ينم عن تقصي أخباره وسماعه من مصدر لم يحدده لنا ابن النديم عن طول إقامة هذا الشاعر بالموصل. والعلاقة

---

[١] ابن النديم، المصدر السابق، ص ٤٢٤.

[٢] نفسه، ص ٤١٧.

[٣] نفسه، ص ٤١٧ – ٤٢٥.

[٤] نفسه، ص ٤٢٠.

[٥] نفسه،ص ١٩٥،اذ ورد اسمه في الفهرست بما نصه" أبو الجيش بن النحنح واسمه "لذا نجد أن ابن النديم لم يذكر اسمه وترك مكانه فارغا حتى أن النقط قد سقطت عن اللقب لهذا العالم؛الجلبي، موسوعة،مج١،ص٨٨.

الثقافية التي تربط ابن النمح بابن النديم تتعلق بترك الأول لديوان شعر في ٥٠٠ ورقة في الموصل اذ يقول ابن النديم " أطال المقام بالموصل. ترك شعرا في خمسمائة ورقة. مات بالموصل "ويتبين أن ابن النديم لم يعين زمانه ولكن حسب ما استنتج الجلبي بأنه من شعراء القرن ٤ هـ/١٠ م ، إذ وردت ترجمة ابن النمح مع شعراء ينتمون لذلك العصر مثل(الخالديان) والسري الرفاء وان مكان الوفاة هو الموصل و يبدو أن انتقاله من بغداد إلى الموصل والاستقرار فيها كان نهائيا بدليل طول إقامته ومن ثم وفاته فيها.

نتائج البحث

١. قيام ابن النديم برحلات وتنقلات علمية بين بغداد والموصل يمكن حصرها بمتوسط سنين من٣٤٠-٣٧٠هـ/٩٥١- ٩٨٠م دون الجزم بتحديد سنوات معينة لزياراته للموصل لأنها كثيرة ولا يمكن حصرها بمكان.

٢. اعتمد ابن النديم على أسلوب الملاحظة العينية واللقاء بالعلماء عند وجوده في الموصل اذ نجد ستة أساليب توثيقية تمثل هذا الاتجاه بقوله " رأيت "، " رأيته "، " ثم انتقل إلى الموصل وكان لي صديقا وأنيسا "، " قال لي ". بينما نجد ثلاثة أساليب توثيقية تعتمد على السماع للخبر في قوله " من أهل الموصل "، " كان من قرى الموصل "،" أطال المقام بالموصل ".

٣. نجد أن الصلة الثقافية بين ابن النديم وهؤلاء العلماء قد انحصرت في عناية ابن النديم بدواوين الشعر وقطعها وما يرتبط بها من أبواب فرعية في التأليف كالسرقات الشعرية اذ نجد ان ابن النديم قد اطلع على ما يقرب من ٥ دواوين شعرية وكتاب واحد في السرقات، ويلي ذلك عنايته بكتب الكيمياء والهندسة اذ وجدها عند عالمين في الموصل فضلا عن زيارته لخزانة واحدة وربما عدم معرفته أو سماعه بوجود ٤ خزائن كتب للأمراء الحمدانيين والخزائن الخاصة لعلماء الموصل أو من وردها واستقر فيها وهو ما نستبعده عن ابن النديم، ونترك العبارة الأخيرة للزمن والتاريخ فلا يمكن الآن أن نجزم بصحتها أو

عدمها، فقد تقبل الصواب أو الخطأ إلا إذا توفرت مصادر ودراسات جديدة تكشف لنا مصداقية العبارة المتقدمة الذكر.

Abstract

Ibn Nadeem's Journey to Mosul through Al-Fahras Book An inductive study on the cultural relationship between Ibn al-Nadim and scholars of his time from the people of Mosul, those who came to it and the settlers in it

Muhammad N. Al-Dabāgh *

The present paper aims at shedding some light on Ibn Nadeem's cultural relationship with Mosul city. The study is carried out relying on scrutinizing the bibliographies of those scholars who were coming to Mosul and those who were dwelling there not to mention what is in Al-Fahras**.**

The study falls into two axes : the first deals with the personality of Ibn Nadeem, his cultural life, reviewing Al-Fahras book and his journeys between Mosul and Badgdad. The second axes investigates the mentioned book reviewing the scholars' opnions who were coming to Mosul and those who were dwelling there.

* Assist. Lec.-Mosul Center for Studies/University of Mosul.